نبذات من عظات

الوبار

٣٥

القمص يوسف أسعد

نبذات من عظات

٣٥

الوباء

القمص يوسف أسعد

اصدار أبناء القمص يوسف أسعد

٢٠٠٠ م

الوبار

«أَرْبَعَةٌ هِيَ الأَصْغَرُ فِي الأَرْضِ وَلكِنَّهَا حَكِيمَةٌ جِدًّا. النَّمْلُ طَائِفَةٌ غَيْرُ قَوِيَّةٍ وَلَكِنَّهُ يُعِدُّ طَعَامَهُ فِي الصَّيْفِ. الْوِبَارُ طَائِفَةٌ ضَعِيفَةٌ وَلكِنَّهَا تَضَعُ بُيُوتَهَا فِي الصَّخْرِ. الْجَرَادُ لَيْسَ لَهُ مَلِكٌ وَلكِنَّهُ يَخْرُجُ كُلُّهُ فِرَقًا فِرَقًا» (أم ٣٠: ٢٤_ ٢٧).

أوصانا الرب فى الموعظة على الجبل وقال: «تَأَمَّلُوا زَنَابِقَ الْحَقْلِ» ولكى نعيش مع هذه الوصية نحاول أن نعيش مع الوبار الذى هو حيوان ثديى، حجمه فيه تشابه مع حجم الأرنب وله وبر ولذلك يسمى بالوبار، ولون الوبر الخاص به مثل لون التراب (العفرة)، ويتميز ببقعة صفراء على ظهره، وهو يعيش بكثرة بالقرب من البحر الميت، وهذا الحيوان يجتر الطعام مثل الجمال، لهذا يمكن أن تلاحظ أنه يحرك فكه وهو لا يأكل.. أى أنه يسترجع ما قد أكله واختزنه.

الحكمـــة:

أهم ميزة ذكرها الكتاب المقدس عن الوبار أنه طائفة ضعيفة

لكنها اتسمت بالحكمة الكبيرة، ولعل هذا هو أول تأمل نحتاج أن نفكر فيه نحن الذين ذقنا حلاوة القوة الآتية من فوق، التى افتخر بسببها بولس الرسول بضعفه حينما قال: «أَفْتَخِرُ بِالْحَرِيِّ فِي ضَعَفَاتِي لِكَيْ تَحِلَّ عَلَيَّ قُوَّةُ الْمَسِيحِ» (٢كو ١٢ : ٩) فالضعف بصفة عامة ليس مصدر للاحتقار، بل هو مجال للاختبار، فنحن لا نحتقر ضعيفى البصر أو السمع أو الحركة ولكن نساعدهم على تخطى هذا الضعف سواء بالنظارة أو السماعة أو الجهاز الذى يساعد على الحركة.

- **فلذلك نحن نشعر بالراحة الكبيرة فى عشرتنا بالرب يسوع لأنه لا يحتقر ضعف مهما كان نوعه، ولكن يهيئ للضعيف أسباب القوة**، وعلى الضعيف أن يستفيد مما يقدمه سيدنا لمن يريد أن تأتى عليه القوة من فوق.

- فنحن نعلم جيداً أن الكتاب المقدس لم يخلو من ذكر ضعفات لقمم من القديسين.. فأبونا إبراهيم سجل له سفر التكوين أنه كذب، ومعلمنا داود النبى ذكر له الكتاب المقدس أنه زنى، ولكنه لم يحتقر أبونا إبراهيم بسبب كذبه ولم يحتقر داود النبى بسبب زناه، كذلك لم يحتقر معلمنا بطرس الرسول بسبب لعنه وسبه وإنكاره للسيد المسيح.

فمن منا غير مقيم فى الضعف؟! كلنا حملنا لحماً ودماً وعظماً شهادة وختم للضعف والضعفاء، ولكن فى خيمة نسكن وفى أوان خزفية قابلة للكسر نختبر قوة الله المعينة، ولذلك نعيش مع الوبار الضعيف الذى ليس له أسنان قاطعة إلا للحشيش، وليست له مخالب قوية فى يديه التى بها أربعة أصابع، وفى رجليه التى بها ثلاث أصابع، وله فى الرجل الخلفية أصبع مثنى لكى يرتكز عليه عندما يقف فيحميه من الوقوع، ولكن ليست له أية أداة من أدوات الحماية.

بيته فى الصخر:

هذا الضعيف شهد له الكتاب المقدس بالحكمة، وذلك لأنه لم يدعي لنفسه الفراسة التى تجعله يعيش وسط الأسود فى الغابة، ولا وسط الحيوانات المفترسة، ولكنه أخذ حكمة فى أن يبنى بيته فى الصخر، فأنثاه تضع من ثلاثة إلى خمسة صغار، مكانهم فى الصخر، وليس فى أى مكان فى الصخر ولكن فى أعلاه، فالوبار قد اختار أعلى الجبل ولم يختار السحاب، ذلك لأن السحاب يمكن أن لا يوجد مكانه وأيضاً الجبل يمكن أن يكسر السحاب، ولأن الصخر لا يمكن أن يتعرض لما يتعرض له كتل السحاب العالية المترامية.

ياعزيزى مهما يكن ضعفك فأنت لك صخر الدهور ربنا يسوع المسيح الذى مهما طالته إهانات وافتراءات ومهما طالت كنيسته المحن والأزمات فهو الذى قال: «أَبْوَابُ الْجَحِيمِ لَنْ تَقْوَى عَلَيْهَا» (مت ١٦ : ١٨) وهو الذى إختبره داود النبى عندما قال: «اسْمُ الرَّبِّ بُرْجٌ حَصِينٌ» (أم ١٨ : ١٠) فمن ينطق باسم الرب يجده برجاً حصيناً ويجد حماية حوله، وهذا مجال للتعزية.

فعندما نرى ضعف فينا أو فى غيرنا نعمل كالوبار الذى يختار شق فى قلب الصخر يدخل فيه فيجد الحماية.

لذلك خذ لك حكمة الوبار وادخل إلى شخص الرب نفسه، وتمتع فيه بما لا تستطيع أن تجده فى كل مظاهر الحماية الأرضية.

نعم إن الذى حمى المرأة فى زناها وهى معاقبة بالناموس، بل وبررها ووبخ الذين أمسكوها بذات الفعل هو الذى يحمينى ويحميك حينما نكتشف ضعفنا وضعف غيرنا.

لذلك عشرتنا بالرب يسوع هى سر من أسرار حمايتنا من ضعفنا، ففى وقت الأزمة ندخل لشخصه بالصلاة، **والصلاة بالنسبة لنا هى مثل الماء والهواء لا نستغنى عنهما.** وهذا إيمان منا أنها

الوسيلة التى تدخلنا إلى شخص الرب وحضرته، وتجعلنا فيه وهو فينا، فصلاة القداس نصليها لكى نجد حمايتنا فى الرب ونختبر ما قاله سيدنا فى إنجيل مار يوحنا «مَنْ يأْكُلْ جسَدِي ويشرَبْ دمِي يثبت فِيّ وأَنَا فيه» (يو ٦ : ٥٦).

عندما تحاسب نفسك وتجد أنك ناقصاً، وتكتشف أن يسوع أمين وأنك خائن، وتكتشف أن يسوع صادق وأنت لم تأخذ من صدقه بعد.. فادخل إليه فى مخدعك، **والمخدع الذى تغلق فيه على نفسك هو الفرصة الذهبية التى تجعل لك بعد تحطم قاربك فى وسط الأمواج اليومية الأمان والحماية مهما مر بك.**

النظـــام:

الوبار لا يعيش وحده، لكنه يعيش فى مجموعات، والسمة التى تؤكد حكمة الوبار فى هذه المعيشة أنه منظم ويختار له كبير، فهو يختار واحد فيهم ليقف فى أعلى منطقة على الجبل لكى ينبههم عند الخطر ويجمعهم فى الجبل، والوبار لا يرى ولكنه يستعمل حساسيته للحركة التى على بعد كيلو أو أكثر حتى يحذر من الخطر القادم مثل الزواحف أو الثعابين أو الأعداء الطبيعية.

عندما كان آدم وحيداً لم يجد الرب استحساناً فى وضعه، بل قال: «لَيْسَ جَيِّداً أَنْ يَكُونَ آدمُ وَحْدَهُ. فَأَصْنَعَ لَهُ معيناً نظيره» (تك ٢ : ١٨) وبدأ الله فى تكوين الكنيسة الأولى.. فأخذ لحماً من لحمه وعظماً من عظامه وجعلها امرأة لأنها من امرء أخذت، جعلها الرب من ضلوعه لكى تكون قريبة من قلبه وفى موضع حمايته، والكتاب المقدس عندما قال: «الرَّجُلَ هو رأْسُ المرأَةِ» يقصد بها أن **الرئاسة هى للحماية وللعمل الضرورى المنظم.**

لا يوجد مكان ناجح إلا إذا كان منظماً، **والبيت الذى ليس له كبير لا يمكن أن يوجد فيه حماية من الأخطار الكثيرة التى تأتى له، لأن ليس له عين حارسة.**

وهذه هى حكمة الوبار فى قبول النظام، فتجد طائفة الوبار يسيرون معاً بنظام مرتين صباحاً ومساءاً حتى يجمعون العشب ثم يدخلون مرة أخرى إلى الصخور. وهو يخرج صوتاً خفيفاً بموسيقى خفيفة لكى ينبه على الخطر القادم، وبمجرد أن ينتهى الخطر يكرر النغمة فى صورة أخرى.

أليس ظلماً أن نقول على هذه الحيوانات أنها فاقدة العقل؟! إن العقل الذى تتصرف به طائفة الوبار ربما نفتقر إليه نحن المغرورين

بنعمة العقل، لأننا أحياناً نرفض النظام، فالشركة لكى تنجح لابد أن يكون فيها نظام، ولو لم يوجد نظام فلابد من الخسارة.

لذلك فالحكمة الواضحة فى طائفة الوبار تتمثل فى اختيارها لنوع الحماية، ثم تدبيرها لحياتها بما يحميها من الانهيار باختيارها للصخر، وهى فى هذا لا تحتاج إلى إمكانيات، ثم تختار من بينها من يقف على أعلى نقطة ليحميها، وتخضع للنظام لصوت الخطر وصوت الخروج لأجل الطعام، فالنظام دائماً نافع.

هكذا إن أولاد الله يعيشون فى إحساس شركة قوى، يعيشون أعضاء بعضهم لبعض، ولكن ليس كأعضاء عائلة الأفاعى التى تنهش بعضها بعضاً، ونسمع من فم المسيح ما يوبخنا ويقول: «أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ» (مت ٢٣ : ٣٣) فعائلة الأفاعى تتميز بأن الأنثى ليس لها فتحة للتناسل، فالذكر يضع مادة التناسل فى فم الأنثى، فتقبض الأنثى عليه بأسنانها حتى يموت، وبعد أن تكتمل الأجنة لا تجد مكان تخرج منه، فتنهش فى لحم الأم إلى أن تخرج للحياة وتموت الأم، أى أن الأم تهلك الأب والأبناء يهلكون الأم ولهذا فهى تسمى عائلة الهلاك، فهذه شركة مخربة، والخراب يأتى على الجميع.

شــركة الحــب:

لكن الشركة التى قال عنها السيد المسيح وكلمنا عنها القديس بولس الرسول هى شركة أعضاء الجسد الواحد التى فى تنوع ولكنها ليست فى تقاتل، فيداى لا يمكن أن تقاتل رجلى.. وإلا فالجسم كله يفسد، أما الشركة التى يتكلم عنها فى طائفة الوبار هى شركة المحبة التى يعمل فيها الأعضاء للهدف الواحد الذى هو مجد المسيح، فعندما أجد من هو أفضل منى ويمجد اسم المسيح أشعر أنه معى فى الهدف.

فالبيت الذى يختلف فيه الأب والأم فى الهدف الذى هو تمجيد اسم الله لا يمكن أن ينجح، فلو أراد الأب مثلاً أن يذهب إلى الكنيسة وترتب الأم مكاناً آخر للأولاد فى نفس الوقت فهذه الشركة لا تنجح.

لهذا ياأحبائى فحكمة الوبار الضعيف نفتقر إليها نحن فى ضعفنا، فربما نجتمع كإخوة يوسف عندما رموا أخاهم فى البئر لأن أباهم أحبه أكثر أو أن شكله أجمل أو مواهبه أكثر، فبدلاً من أن نقف الموقف المخزى الذى سجله الكتاب عن إخوة يوسف فلنجتمع مثل الأربعة أصحاب الذين نقبوا السقف ليضعوا المفلوج أمام المسيح

رغم الزحام حوله، فشفاه المسيح من أجل إيمانهم.

إذن كل تجمع وكل شركة لا تقود إلى مجد المسيح بهدف واحد للجميع هى عائلة أفاعى تهلك بعضها البعض، فنحن كأولاد للمسيح نبتعد عنها لأن الكتاب المقدس قال: «الذَّكِيُّ يُبْصِرُ الشَّرَّ فَيَتَوَارَى» (أم ٢٧ : ١٢) فنأخذ طريقنا للملكوت ونعيش فى الشركة نبدأ بأنفسنا أن نبحث عن مجد المسيح فى حياتنا لأنه صخرتنا وملجأنا، حِمَانَا الذى يضمن لنا النجاة فى كل الأوقات.

لهذا أُذَكِّرُ إخوتنا الشباب قبل الزواج أن يدققوا جداً فى إختيار شريك الحياة، فلو قضوا كل حياتهم بلا زواج أفضل من أن يدخلوا فى شركة عائلية تفقدهم ميراثهم الأبدى، لذلك لابد أن يدققوا.

ولا يوجد من يضع نفسه تحت قدمى الله ويقول له: أنا يارب لا أتزوج من أجل شهوة ولا من أجل أن تكون لى بيوت أو عزب – كما قالت سارة بنت رعوئيل وطوبيا فى صلاتها – ولكن أتزوج لكى أدخل فى دائرة مجدك وامتداد ملكوتك على الأرض، وكثيراً ما نقرأ عن بيوت ربّت قديسين وقديسات، هذه هى بيوت المؤمنين القديسين الذين يعرفون أنهم وأولادهم حمايتهم فى المسيح.

وأقول أيضاً للآباء والأمهات أن الميراث الذى نتركه لأولادنا

هو معرفة المسيح فهذا هو الذى يحميهم على الأرض، فلابد من دفع الأولاد دفعاً على معرفة المسيح، وهذا ما تقوم به الكنيسة عن طريق المسابقات والجوائز.

وقد فرحت بأسرة كانت ترتب فيما بينها مسابقة فى البيت فى الصلاة قبل الخروج وقبل النوم وقبل الأكل، فهم بهذا يشجعون أولادهم على عشرة المسيح، ولهذا فنحن نرى شخصيات من الشباب والشابات الذين دفعهم آبائهم للكنيسة وأعطوهم طمأنينة فى عشرتهم بربنا فخرجوا شخصيات ناضجة وناجحة ممجدة لاسم الله.

وهناك آباء يخافون على أولادهم من معرفة الله، ويقولون أنهم يريدون أن أولادهم يعيشون فى الدنيا طبيعيين ظانين أن الله يبدل عقول أولادهم، فالنصيحة التى يقولها الكتاب المقدس لهؤلاء الآباء أن الوبار طائفة ضعيفة ولكنها تبنى بيتها فى الصخر.. **فإذا كنت تريد أن تكوّن جيل من القديسين عرفهم الطريق نحو صخر الدهور.. نحو المسيح**، والوسيلة الأولى هى الصلاة، والوسيلة الثانية هى الشركة المنظمة التى تهدف إلى مجد الله.

فعندما أجد أن ابنى يخرج ليشترى طعام ويوصله لبيت معين، ولا يريد أن يخبرنى بهذا، فلا أغضب منه ولا أطالبه أن يكشف ما

يفعله، لكن أعرف أنه رأى بعينه أن هناك من لا يجد الطعام لمدة يومين.. فبدأ يحس بغيره ويشعر بالشركة التى تربطنا بعضنا البعض.

وليس معنى هذا أننا نعطى إذناً للابن أن يخرج دون أن يخبر أبوه أو أمه.. لكن هذا فهم غير ناضج عن الخفاء أنه إذا دخل فيه الأب أو الأم أو الأب الروحى يخرجه عن نطاق الخفاء، والحقيقة أنه قد يأخذ توجيه أو يأخذ حكمة من الأب أو الأم.

فهناك أب عندما لاحظ ابنه فى مثل هذا التصرف وضع له ظرف به مبلغ من المال، ولما سأله الابن عنه أجابه أنه من أجل البيت الذى كان يزوره اليوم، وبهذا شجع ابنه على عمل الرحمة، وعلى ألا يخفى عليه ما يفعله، وهذا لا يقودنا إلى كسر وصية الخفاء، فالابن الذى يخبر أبوه لم يخرج عن نطاق الوصية لأنه هو وأبوه واحد، ويمكن أن يجد تشجيعاً منه فى الإمكانيات المادية، فحياة الشركة لا تقود إلى كسر وصية الخفاء.

مثال لذلك الكليتين المختفيتين فى الجسم اللتين تعملان فى الخفاء فى تنقية الدم إذا أصيبتا بأى مرض يظهر هذا على الوجه، فليس معنى أن أعمل فى الخفاء أن أصبح أنانى، بل يجب أن تكون فينا شركة الحب الواحد لمجد اسم المسيح له كل المجد.

التكيّـــف:

نقطة أخيـرة عن الوبار بالإضـافـة إلى النظام أن لون وبره كلون العفرة، ولكن لو أنزلناه من الصخر ووضعناه وسط البرسيم تجد أن وبره أخذ لون البرسيم، وهذا يختلف عن الحرباء التى تتلون لأن لها هدف أن تقـتنص، لكن تكيف الوبار هو نوع من اللجـوء إلى الحماية حينما يفتقر إلى مكانه الطبيعى فى الصخر، وهو فى تكيفه هادئ وضعيف جداً ويشعر بالخوف لأنه ليس فى مكانه، فلهذا يفرز صبغة بلون الزرع أو بلون المكان الموجود فيه، فهو يتكيف لا ضد نفسه إنما من أجل حماية نفسه.

ونحن نعيش فى شركـة للمـؤمنين، ولكننا لسنا نقـاتل غيـر المؤمنين، ولا ندخل فى عثرات مع الذين ضد الإيمان، وحتى داخل الكنيسة الواحدة إذا لم نجد الهدف الذى يمجد الله فلا نقـاتل ولا نأخذ لأنفسنا أساليب غير المؤمنين، لكن نجد لنا اللون الذى يعطينا حماية من الشر ومن التعرض للأخطار الطبيعية.

فلو عشنا بشرف ونجد مجتمعاً يشجع على ما هو ضد الشرف، أو لو عـشنا بأمـانة ونجـد مـحيطاً يشجع على مـا هو ضـد الأمـانة، فنبحث عن كيفية حمايتنا وخلاص أنفسنا ونذكر قول الرب: «مَاذَا

يَنْتَفِعُ الإِنْسَانُ لَوْ رَبِحَ الْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ» (مت ١٦ : ٢٦ ، مر ٨ : ٣٦ ، لو ٩ : ٢٥) فماذا تستفيد لو ربحت العالم كله ثم وجدت نفسك فى النهاية فى جهنم، لكن حكمة الوبار تساعدنا عندما نوجد فى محيط لا يتفق معنا فى الأهداف أن نأخذ الوسيلة التى فيها خلاص النفس.

ومن هنا القديس أرسانيوس معلم أولاد الملوك ترك قصور الملوك وذهب للدير لأنه وجد أن نفسه ستهلك فقال مع داود النبى: «لَيْتَ لِي جَنَاحًا كَالْحَمَامَةِ فَأَطِيرَ وَأَسْتَرِيحَ هأَنَذَا كُنْتُ أَبْعُدُ هَارِبًا وَأَبِيتُ فِي الْبَرِّيَّةِ» (مز ٥٥ : ٦ ، ٧).

فالراهب الذى ينعزل لا يعتزل، **والمؤمن التقى الذى تجده يدخل فى الإختصار بعد الإختبار هذا ليس إنساناً مخاصماً ولكنه يبحث عن خلاص نفسه**، فإذا تعاملت معك كأسرة ووجدت أنك تستخف بوصايا المسيح فسوف لا أعاديك ولكن سأختصرك، والإختصار هنا ليس نوع من الخصومة ولكنه تحديد هوية الحماية لنفسى ولمبادئى، لأنى لا أدعى القوة أنى أستطيع أن أقيم فى عمارة كلها زناة وأقول أنى سأعيش طاهراً، ولكن كما قالت الأمثال: (خذ الجار قبل الدار) فلذلك سأبتعد عن المكان الذى يمكن لأولادى أن يستمتعوا بما يدعوهم إلى الزنى أو يتعرضوا لما يتعبهم أو يعثرهم.

هكذا نحن إذا إقتصرنا لا ندخل فى خصومة، فمسيحيتنا لاتعلمنا الخصومة، ولكن تعلمنا كيف نحفظ فينا رغبة وتشوق أنفسنا للأبدية، فأنا أريد السماء، فعندما أجدك لا تفكر ولا تهتم بالسماء.. فسيكون سلام بينى وبينك ولكن لا نأكل معاً ولا نلعب معاً، لأن كلمة مع كلمة ولقمة مع لقمة تجعلنى أبلع مبادئ خاطئة وتهلك نفسى دون أن أشعر، وقديماً قالوا لنا أن الأخلاق الجيدة لا تصلح الأخلاق الشريرة ولكن نسمع دائماً أن الأخلاق الشريرة تفسد الأخلاق الجيدة، حتى قفص الطماطم إذا لم تفرز منه الطماطم الفاسدة فسيفسد كله، فلابد من فرزه يومياً لحمايته من الفساد، هذا الفرز هو الألوان التى يعطيها الوبار لوبرته.

وهذا المبدأ علمه لنا بولس الرسول عندما قال: «اعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ» (١كو ٥: ١٣) وهذا لا يعنى أن أشعر أنى أفضل من الخبيث، ولكنى أحمى نفسى من الخبيث بأن أعزل نفسى عنه، فإذا وجد ورم خبيث فى جسم إنسان فنقطع هذا الورم حتى نحمى بقية الجسم.

هكذا ياأحبائى حكمة الوبار وهو ضعيف تعلمنا أن نضع خلاص أنفسنا أولاً وسوف لا نكون أنانيين، فالرهبان ليسوا أنانيين كما يظن البعض، ولكنهم أشخاص هم أقدر على معرفة أنفسهم،

فوجدوا أن الشركة هنا فى وسطنا ستهلكهم ففضلوا أن يخلصوا وهم بعيداً عنا، فهم طائفة من الحكماء مثل الوبار، **والمؤمن التقى هو الذى يستطيع أن يصون بيته وأولاده ونفسه بعيداً عن مجموعات أسرية أخرى يمكن أن تعرض أبديته وعشرته بربنا للهلاك**، هذا المؤمن لا يقال عليه أنه أنانى أو مخاصم، ولكنه إنسان حكيم عرف كيف يصون علاقته بالمسيح.

ياأحبائى إن حياة الشركة المنظمة التى يعيشها الوبار مع الحكمة التى بها يختار ويبنى بيته وسط الصخر، ولا يتلون بل يتكيف ليحمى نفسه من مخاطر وجوده خارج الصخر هى مجرد أفكار تساعدك لتتأمل بأكثر عمق وأنت تصلى تحت قدمى المسيح، ولا تحتقر الضعف الذى فيك، ولا تدين الضعف فى غيرك، إنما احتمى بسيدك، وهناك عند قدميه ستجد أفكاراً نقية، وتأملات روحانية تساعدك أكثر أن تتمسك بصخر الدهور، تقيم فيه أنت وأولادك وبيتك وتحمى نفسك من مخاطر البعد عن معرفته.

عظة باجتماع الشباب الجامعى والموظفين بكنيسة السيدة العذراء بالعمرانية

١٩٩١/٣/١٤

رقم الايداع: ١٥٠٣٩ / ٢٠٠٠